جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف محمود بن عمر الزمخشري ﴿ت ٥٣٨هـ﴾

القسم الأول ﴿سورة الفاتحة والبقرة﴾

دراسة وتحقيق

رسالة لنيل درجة الماجستير في علوم اللغة العربية

بإشراف الأستاذ الدكتور
مزيد إسماعيل نعيم

إعداد الطالبة
ملاذ محمد فاروق زليخة

العام الجامعي ١٤١٩هـ ـ ١٤٢٠هـ
١٩٩٨م ـ ١٩٩٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى من عرفت في كنفهما الحب والحنان والعطف والأمان

إلى من كان لهما الفضل - بعد الله تعالى - في تقدمي العلمي وبزوغ

بصري إلى النور

إلى من أرضعتني حُبّ العلم والعمل الدؤوب من أجل تحصيله

إلى ريحانة قلبي، وبلسم روحي، وعطر حياتي، وزهرة عمري

إلى من عشقت اللغة العربية وكتابها المبين

إلى من أمرنا الله ببرهما فجاء في محكم تنزيله

﴿واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

إلى والديّ الكريمين

وإلى كل مسلم يناشد عقيدة التوحيد ويتلو كتاب العزيز الحميد

أهدي هذا البحث إخلاصاً لله ولرسوله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ التفاسيرَ لا تحصى بلا عددٍ

وليس فيها لعمري مثلُ كشافي

إن كنتَ تبغي الهدى فالْزَمْ طريقتَه

فالجهلُ كالداءِ والكشافُ كالشافي

الزمخشري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ المقدمـــــــــة ـ

يعد كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل من الكتب التي يشار إليها بالبنان، ولا تُغبى مكانتها بين علوم اللغة العربية، وذلك لما امتاز به من إيراد النكات البلاغية وتحقيق بعض وجوه الإعجاز، ولما أحاط به من مسائل لغوية ونحوية قيمة ووجوه إعرابية متنوعة. ونظراً لقيمة الكتاب وأهميته في خدمة اللغة العربية وإغناء مكتبتها، فقد وجهني إلى هذا البحث أستاذي الدكتور مزيد نعيم فأخذت القسم الأول منه.

وقد جعلت هذا البحث في بابين: الباب الأول للدراسة، والباب الثاني للتحقيق.

أما الباب الأول فقدمت له تمهيداً بيّنت فيه حياة الزمخشري وآثاره وثناء العلماء عليه، ثم ذكرت مصادر الزمخشري مبينة أنه في نقله عن تلك المصادر سلك طرقاً مختلفة، فهو إما أن يصرح بذكر اسم المصدر أو بذكر اسم صاحبه ربما لشهرته له، أو أن ينقل بلا تصريح، أو أن يصرح بنقله عن المصادر حيناً ويغفل ذكرها حيناً آخر، أو أن ينتفع منها انتفاعاً عاماً من غير أن ينقل عنها نقلاً حرفياً. ثم ختمت حديثي بذكر ما أثاره الكشاف من نشاط فكري.

ثم قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول:

جعلت الفصل الأول في الحديث عن منهج الزمخشري في الكشاف، فذكرت أنه التزم بمنهجين:

المنهج العقلي والمنهج النقلي، وأشرت إلى أن السمة البارزة في منهجه هي أن كتابة طبع بالنزعة التعليمية وبينت بعض ملامح هذه النزعة. واكتفيت هنا بالإشارة إلى منهجه كمفسر فقط، ثم أشرت إلى منهجه في النحو واللغة وغير ذلك أثناء تعرضي لها في الدراسة تجنباً للتكرار.

ثم تحدثت عن موقف الزمخشري من السماع من القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث الشريف والشواهد الشعرية وأمثال وأقوال العرب، وذكرت أن استشهاده بالقرآن والحديث والشعر كان بالمرتبة الأولى.

وفي الفصل الثاني من الدراسة تناولت البلاغة عند الزمخشري، فدرست الموضوعات البلاغية التي تناولها في علم المعاني والبيان والبديع، وخلصت إلى أن الزمخشري كان يطبق فيها آراء عبد القاهر الجرجاني تطبيقاً مستقطباً بديعاً، سواء كان ذلك في علم المعاني أم في علم البيان، وقد وصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدل على تعمقه وبعد فطنته في تصوير الدلالة البلاغية، وأنه استعان بالبلاغة في تقرير عقيدته الاعتزالية.

وتحدثت في الفصل الثالث عن النحو واللغة عند الزمخشري فذكرت أن الزمخشري كان شديد الميل إلى المذهب البصري مرتبطاً بأصوله، وهو مع ذلك يختار ما يوافقه من المذهب الكوفي ويجتهد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيضيف آراء جديدة، مشيرةإلى أن هذا النهج هو سمة المذهب البغدادي، وبينت ما أضافه الزمخشري في معاني الحروف من أبعاد جديدة، وأنه جعل النحو خادماً لتفسير كلام الله ومبيناً لمعانيه، وأنه كذلك استخدم النحو في تقرير عقيدته الاعتزالية. وبينت موقفه من القياس والعلة فذكرت أنه كان يذهب إلى القياس على الكثير، وقد علل بعض الأحكام النحوية لتوضيحها وتقريبها من ذهن القارىء، غير أنه لم يغرق في العلة كغيره من النحاة.

وذكرت في دراستي للغة عنده أن الزمخشري أجهد نفسه في كشافهفي تقصي مفردات القرآن الكريم والحديث عنها حديثاً واسعاً، واستنباط معانيها بالرجوع كثيراً إلى مصادرها وأصولها اللغوية في الاشتقاق، فدرست الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر عند الزمخشري مقارنة إياه مع ما ذكره ابن جني قبله في الاشتقاق، وذكرت أن الزمخشري كان يبحث في كشافه عن مترادفات المفردات التي يتعقبها ليكشف الفروق المعنوية الدقيقة فيما بينها.

ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن مآخذ العلماء على الزمخشري فذكرت أن أبا حيان كان أكثر العلماء ردّاًعليه وتعقّباً لكلامه، وبحثت في أسباب هذا الردّ، ثم عرضت لمآخذ ابن هشام والسمين الحلبي والبغدادي وابن الأثير ويحيى اليمني وابن المنير وابن كثير، وخلصت إلى أن هذه المآخذ لا تنقص من قيمة الكتاب ـ لولا الاعتزال الذي تضمنه ـ فهو بلا شك كتاب جليل في النحو واللغة والبلاغة لما احتواه من مادة غنية قيمة. ثم أنهيت دراستي بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

وجعلت الباب الثاني من هذا البحث للنص المحقق، فقدمت له بمقدمة وصفت فيها النسخ الخطية التي قام عليها النص المحقق، ثم بينت المنهج الذي اعتمدته في التحقيق والذي قام على مقابلة النسخ الخطية لإخراج النص إخراجاً سليماً يخلو من التصحيف والتحريف، والتعريف بالأعلام، وتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والقراءات والشواهد الشعرية والأمثال والمسائل...، وتتبع المصادر التي أشار إليها المصنف، ومقابلة نص المصنف على حاشية الجرجاني والطيبي، وتتبع تعقيبات واعتراضات كل من ابن المنير وأبي حيان وابن هشام وغيرهم، ثم ذيلت النص المحقق بالفهارس التي رأيت أنها تخدم النص، ووضعت ثبتاً للمصادر والمراجع التي قام عليها البحث.

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر لأستاذي المشرف الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل. وكان صدراً رحباً لكل تساؤل، ألوذ به كلما أعياني الجهد وأضناني المسير،فقدم لي ملاحظات قيمة دقيقة أغنت هذا البحث، وطالما منحني من علمه ووقته، فجزاه الله عني الجزاء الأوفى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيراً فإنني لا أدعي أن هذا البحث جاء كاملاً خالياً من العيوب، فالكمال لله وحده، بل ليس لمثلي أمام بحث كالكشاف يستطيع أن يرقى به إلى مستوى الدراسة الشاملة، ولكن حسبي أنني بذلت الجهد بل غاية ما أستطيع، كما أني أخلصت النية، والله من وراء القصد.

دمشق في ٢٣/صفر/١٤٢٠هـ
٧/حزيران/١٩٩٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

الدراسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس موضوعات الدراسة

تمهيد:

- حياة الزمخشري وآثاره ١
- مصادره ١٥
- ما أثاره الكشاف من نشاط فكري. ١٨

الفصل الأول:

- منهج الزمخشري في الكشاف. ٢٦
- موقفه من السماع ٣٣
١. القرآن الكريم ٣٣
٢ ـ القراءات القرآنية ٣٦
٣ ـ الحديث الشريف ٤٤
٤ ـ الشواهد الشعرية ٤٧
٥ ـ الأمثال وأقوال العرب ٥٥

الفصل الثاني:

البلاغة عند الزمخشري ٥٩

الفصل الثالث

- النحو عند الزمخشري ١١٤
- اللغة عند الزمخشري ١٢٧
- مآخذ العلماء على الزمخشري ١٤٥

خاتمة

تتضمن أهم نتائج البحث ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

- حياة الزمخشري وآثاره -

١ - حياته[١]:

أ - اسمه ونسبه ونشأته:

هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد أحمد الزمخشري، الخُوارِزْمي، الإمام العلّامة، المشهور بفخر خوارزم. وُلِدَ في قريته الصغيره (زمخشر) في شهر رجب عام (٤٦٧هـ - ١٠٧٥م) ونشأ فيها وسط أسرة مشهورة بالتقوى والصلاح محافظة على شعائر الدين، وكانت أمه شديدة العطف، رقيقة القلب، ومُجابة الدعوة. وأمّا والده فقد سجنه مؤيد الملك، وربما كان ذلك لأسباب سياسية، وكان من أهل الفضل والعلم، وكان كذلك عالم زمخشر ولا شك أن الزمخشري تتلمذ أول ما تتلمذ في الثقافة الإسلامية على والده، وأنه ورث علمه وفضله، وأخذ عنه شمائله وآدابه.

بدأ الزمخشري يتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم في قريته وهو بين والديه. وعندما وصل إلى سنّ التعليم أصابه داء أقعده عن ممارسة الحياة، فأصبح زَمِناً مبتلى، وكان يعاني أشد الآلام من ذلك لأن الداء أقعده عن بغيته وآماله. وعلاوة على ذلك فقد كان مقطوع الرجل اليسرى من ثلج أصابه، ويقال: سببه دعاء والدته، لأنه قطع رجل عصفور كان يلعب به، فتألّمت فدَعَتْ عليه.

وشاء الله أن يسلّمه أبوه إلى خياط ليعلمه، إلا أن رغبة الزمخشري الشديدة في تعلم العلم جعلته يستعطف أباه ويقول له: "احملني إلى البلد واتركني بها"، وأمام هذه الرغبة الملحة اقتنع والده، فحمله إلى البلد ورزقه الله حظاً حسناً، فكفاه الله رزقه.

ولما بلغ سنّ الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم. وبخارى منذ العهد السامانى - كما يصفها الثعالبي - : ((كانت في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر)) [٢]. وهناك أقبل على حلقات العلم ومجالسة الشيوخ والأخذ عنهم مجدّاً في التحصيل، مكبّاً على الحفظ والقراءة، مقبلاً على دراسة علوم عصره التي أخذ منها

---

(١) - انظر: وفيان الأعيان ٥/١٧٠، إشارة التعيين ٣٤٥-٣٤٦، مفتاح السعادة ٢/٨٩، الزمخشري لغوياً ومفسراً ٨٣ - ١١٨.

(٢) - يتيمة الدهر ٤/١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنصيب وافر، فكان من تلك العلوم: أصول الفقه، والحديث، والتفسير، والتوحيد، والمنطق، والفلسفة، وشتى علوم الدين والعربية، وأصبح يُشار إليه بالبنان من بين لداته وأترابه.

لم يصفُ له الحال في هذه الفترة أيضاً، فقد بلغه نعي والده في سجن المؤيد، فكان له التأثير الكبير على نفسيته لبعده عنه، وكذلك لفقرة وانقطاع المعونة عنه، فأخذ ينظم قصائد كثيرة في شكوى الزمان وصروف الأيام، التي يبدو فيها القلق والحيرة والاضطراب النفسي.

وسجلت هذه المرحلة نشاطه ورحلاته الأولى في طلب العلم، فزار مرو، ولقي فيها الإمام السمعاني، وطاف بكثير من مدن خوارزم وخراسان محصلاً للعلم، مجالساً للعلماء، مناظراً لأقرانه.

هذه المرحلة كانت من أهم مراحل حياته العلمية الحافلة، وكان لها أثر كبير في مستقبله وتفكيره ومواهبه، إذ نضج فيها عقله، وقويت ملكاته، ووضحت شخصيته، وحصّل الكثير من العلوم الإسلامية، ونبغ في الأدب نثره وشعره، وطارت فيها شهرته.

وبدأ الزمخشري من ذلك الحين يدخل في طور جديد من أطوار حياته الحافلة المديدة هو طور النبوغ الذي يتسم بأنه طور الصلات الاجتماعية والاتصال بمختلف طبقات المجتمع، فقد أخذ يفد إلى الأمراء والوزراء وكبار رجالات الدولة آخذاً منهم ومعطياً إياهم، يأخذ منهم الصلات والهبات، ويعطيهم العقائد والقلائد، وكان يعطي أكثر مما يأخذ.

وفي هذا الطور من حياته أكثر من الرحلة والانتقال، يدفعه إلى ذلك رغبته في الاستفادة والإفادة ولقاء العلماء، فرحل إلى مصر لطلب العلم، وكانت آنذاك في حكم الفاطميين العلويين، عامرة بحلقات العلم والمدارس، آهلة بالعلماء والأدباء والشعراء، زاخرة بنفائس المؤلفات وكتب الإسلام، ولقي فيها كثيراً من العلماء، وكان الزمخشري لا يدخل بلداً إلا يجتمع علماؤها عليه يأخذون عنه، ويقتبسون من نوره، ويستفيدون من علمه.

ورحل إلى مكةالمكرمة نحو عام (٥٠٢ هـ) وأقام فيها مجاوراً بيت الله الحرام، ولذلك لقب جار الله، وقد اتصل في مكة بالشريف الحسني العلوي علي بن حمزة بن وهاس، وتمتع بعطفه وعطف أمراء الأسرة الحسنية الحاكمة، وقد أهدى إلى هذا الأمير العلوي أكثر من مؤلف. وفي أثناء إقامته بالحجاز زار اليمن ومدنها، وممّا زار من المدن همدان حيث مدح هناك آل زرير.

وقد امتدت هذه الفترة في حياته نحو عشرين عاماً،إذ بدأت وهو في الخامسة والعشرين من عمره عام (٤٩٢هـ)، وانتهت وهو في الخامسة والأربعين من حياته عام (٥١٢هـ) . وفي هذه المرحلة عاش عيشة استقرار ورخاء بمكة وإن كان لم ينس وطنه الأول خوارزم، ويبدو أنه تزوج و لم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكن راضياً بحياته الزوجية ولا موفقاً فيها، وقد ترك ذلك في نفسه آلاماً وهموماً جساماً، وأغلب الظن أنه أنهى حياته الزوجية دون أن يعقب أولاداً من زواجه، ومن ثم عاش وحيداً فريداً.

ب ـ مرحلة العزلة والإنتاج العلمي:

تبدأ هذه المرحلة من حياة الزمخشري عام (٥١٢هـ)، وهو في الخامسة والأربعين من عمره حيث كان ما زال يقيم في مكة، وتنتهي عام (٥٣٨هـ) حيث توفي وهو في الحادية والسبعين من سني حياته الطويلة. وتتسم هذه المرحلة بأنها كانت مرحلة الكهولة والعزلة في حياته. وقد حُبِّبَتْ له العُزلة بسبب رؤيا رآها وهو في أعقاب مرض أنهكه في رجب عام (٥١٢هـ)، وهو العام الذي سمّاه "العام المنذرة"، فانقطع عن المجتمع الذي كان يعيش فيه وآثر العزلة، ورغب في الوحدة، وأقام بمكة منفرداً بنفسه بعيداً عن الخاصة والعامة. وقد ألف في هذه الفترة من عزلته مقاماته الخمسين عام (٥١٢هـ)، وشرع في تأليف المفصل عام (٥١٣هـ) وفرغ منه عام (٥١٥هـ)، وألف الفائق وفرغ منه عام (٥١٦هـ). وفي نحو عام (٥١٦هـ) عاوده الحنين إلى وطنه خوارزم، فعزم على التوجه نحوها وسافر إليها، وأقام فيها قريباً من عامين، وقابله هناك ملكها بالترحاب والتقدير، وقربه إليه، ومنحه عطفه ونال حظوة كبيرة، وفي هذه المدة أرسل إليه ابن وهاس يطلب عودته إلى مكة، وما لبث أن رجع إلى مكة المكرمة مرة أخرى نحو عام (٥١٨هـ) حيث لقي بها عبد الله اليابري وقرأ عليه كتاب سيبويه. وفي مكة المكرمة طاب له المقام حيث عاش موضع عطف ابن وهاس ورعايته. وفي هذه الفترة ألف أكثر كتبه، وكانت أكثر تصانيفه بين زمزم والمقام وقد ألف هذه الفترة: أطواق الذهب، (النصائح الصغار)، شافي العي، نوابغ الكلم، المستقصى في أمثال العرب، وجمع شعره ديوان الأدب بإشارة من ابن وهاس، وفي أرض الحجاز زار كل بقعة، وشاهد كل أثر إسلامي، وعاش يلقى العلماء ويساجل الأدباء، ويزور أعلام العالم الإسلامي في موسم الحج ويتعرف إليهم، ويلازم بيت الله الحرام، ويفد إلى المدينة زائراً.

وفي مطلع عام (٥٢٦هـ) بدأ يؤلف في بيت الله الحرام تفسيره العظيم الكشاف، وانتهى منه في أواخر عام (٥٢٨هـ)، وكان الزمخشري آنذاك يسير في العشرة الأخيرة من سني حياته، وبعد ذلك ألف ربيع الأبرار، ثم أساس البلاغة، ثم أعجب العجب في شرح لامية العرب، وطالت إقامته بمكة في المرة الثانية فامتدت قريباً من الأربع عشرة سنة، وحينما قدم بغداد زاره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً بقدومه. ولا ندري متى فارق الزمخشري مكة إلى بلاده خوارزم للمرة الأخيرة، ولكننا نعرف أنه تردد على بغداد مرتين آخرها عام (٥٣٣هـ)، وقد يكون أنهى إقامته في هذا العام، ومنها سافر إلى بلاده حيث مرَّ ببغداد في سفره، وعاد الزمخشري إلى وطنه شيخاً كهلاً يقعده المرض والشيخوخة، وقد أصبح بعد رجوعه فخر خوارزم، ومرجع العلماء في كل فرع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومشكلة، وطارت شهرته في كل أرجاء العالم الإسلامي، وظلَّ كذلك حتى توفاه الله عام (٥٣٨هـ - ١١٤٤م) حيث دفن بجرجانية خوارزم.

- ثقافته[١]:

كان الزمخشري حجة في علوم الدين والعربية، ملمّاً بمذاهب الكلام وفلسفة الفلاسفة، وقضايا المنطقيين، مع إلمامه بأصول الشريعة وفروعها، ومع إحاطته التامة بأسرار العربية ودقائقها، ونبوغه في شتى علومها، من بلاغة، ونحو، وصرف، وأدب. ومظهر هذه الثقافة الواسعة يبدو جلياً في مؤلفاته المختلفة المنوعة، التي جمعت بين علوم الدين وعلوم اللغة والأدب. ولا شك أن هذه الثقافة كان مردّها إلى ميوله ومواهبه وبيئته العلمية التي قيل فيها: قلّما وجد فقيه أو لغوي لم يتخرج على أستاذ خوارزمي، وإلى شيوخه ومطالعته ورحلاته وتجاربه، وإلى مجاورته في مكة زمناً غير قصير، حيث الألسنة فصيحة، والملكات قوية، والمواهب سليمة، ومكة قلب الحجاز موطن العربية وعلومها.

وعلى الرغم من أصله الأعجمي، ومن البيئات التي درج عليها وعاش فيها - وهي بيئات غير عربية - فقد كان الزمخشري حجة في اللغة والأدب في عصره غير مدافع.

وكل هذا كان كفيلاً بأن ينشأ الفتى الزمخشري نشأة عربية، وأن تجعله عربي الروح والثقافة على الرغم من أصله وجنسيته، فإذا كان أعجمي الأصل، فقد كان عربي التفكير والثقافة والأسلوب، ولقد تغلغلت العربية في أعماق نفسه، ورست جذورها في جوانحه وحناياه، يقول القفطي: ((أقام الزمخشري برهة من الزمان بالحجاز حيث هبَّت على كلامه رياح البادية، وورد مناهل العرب العاربة))[٢]. وأظهر دليل على ذلك آثاره ومؤلفاته، حيث لا نرى فيها مؤلفاً بغير العربية إلا النزر اليسير كمقدمة الأدب.

ومهما كانت أصول ثقافة الزمخشري واللغات التي يعرفها، فقد كانت ثقافته العامة عربية خالصة من جميع نواحيها الفكرية واللغوية.

وإلى جانب تضلع الزمخشري في علوم اللغة والأدب كان على حظٍّ كبير من الاطلاع على الفقه وأصوله، وكان يوصف بالفقيه الحجة، وقد ألف في هذين العلمين مؤلفات، وهو إلى جانب ذلك كان حنفي المذهب.

---

(١) - الزمخشري لغوياً ومفسراً ١٣٥-١٤١

(٢) - إنباه الرواة ٣/٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ اعتزاله وأثره في تفكيره[1]:

أخذ الزمخشري نزعة الاعتزال من أستاذه محمود بن جرير الضبي الأصفهاني، وقد قدم خوارزم وكان أول من نشر بها مذهب المعتزلة، حتى غلبت هذه النزعة عليها فصار الزمخشري يعدها من رأس فضائل خوارزم، وكان الضبي كثير الأيادي على الزمخشري في أيام محنته.

وكذلك تأثر الزمخشري أيضاً بأستاذه الثاني الحاكم العلامة أبو سعد المحسن الجشمي الزيدي المعتزلي، ومن ثم نرى في تفسيره الكشاف، وفي كتابه ربيع الأبرار كثيراً من مذاهب وآراء المعتزلة. يقول ابن خلكان: ((كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: "قل له: أبو القاسم بالباب"، وأول ماصنف كتابه الكشاف كتب استفتاح الخطبة: "الحمد لله الذي خلق القرآن" فيقال: إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس، ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله: "الحمد لله الذي جعل القرآن"، وجعل عندهم بمعنى خلق، والبحث في ذلك يطول، ورأيت في كثير من النسخ: "الحمد لله الذي أنزل القرآن"، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف))[2]. وقد دافع الزمخشري عن عقيدته الاعتزالية دفاع المؤمن بها في كثير من كتبه وخاصة الكشاف، وكان يجاهر بقوله: "أنا الشيخ المعتزلي من يبرز لي، من يبرز لي". وقد عاش معتزّاً باعتزاليته، منافحاً عنها بكل قواه.

وأصول مذهب الاعتزال هي[3]:

١ ـ **التوحيد**: لب مذهبهم وأسّ نحلتهم، وهو أن الله واحد أحد ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وفسروه تفسيراً خاصاً من حيث الصفات الثبوتية والسلبية في ذاته، وأن صفاته عين ذاته، وبنوا على هذا الأصل استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لاقتضاء ذلك الجسمية والجهة، كما بنوا عليه أن الصفات ليست شيئاً غير الذات، وإلا تعدد القدماء في نظرهم، وبنوا على ذلك أيضاً أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى.

٢ ـ **العدل**: وهو أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لا يأمر إلا بما أراد، ولم ينه إلا عما كره، وأنه وليّ كل حسنة أمر بها، وبريء من كل سيئة نهى عنها، وإن

---

(١) ـ الزمخشري لغوياً ومفسراً ١٥٧-١٦٩

(٢) ـ وفيات الأعيان ٥/١٧٠.

(٣) ـ ينظر تفصيل ما ذكرته فيه المذاهب الإسلامية ص ٢١٠ ـ ٢١٥ بتصرف يسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحداً لايقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التي أعطاهم إياها، وهو المالك لها دونهم، يفنيها إذا شاء، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته، ومنعهم اضطراراً عن معصيته، ولكنه لا يفعل، إذ كان في ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى.

وبنوا على هذا الأصل أن الإنسان خالق لأفعال نفسه، لاحظوا في ذلك تنزيه الله تعالى عن العجز، فقالوا: إن هذا بقدرة أودعها الله تعالى إياه وخلقها، فهو المعطي، وله القدرة التامة على سلب ما أعطى وإنما أعطى ما أعطى ليتم التكليف.

٣ - **الوعد والوعيد**: وهم يعتقدون أن الوعد والوعيد نازلان لامحالة، فوعده بالثواب واقع، ووعيده بالعقاب واقع أيضاً، ووعده بقبول التوبة النصوح واقع أيضاً، ولا عفو عن كبيرة من غير توبة كما لاحرمان من ثواب لمن عمل خيراً.

٤ - **المنزلة بين المنزلتين**: وهو على القول بأن المسلم العاصي في منزلة بين المؤمن والكافر، ووجه تقريره أن الإيمان عبارة عن خصال خير، إذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً وهو اسم مدح، والفاسق لم يستكمل خصال الخير، ولا استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمناً، وليس هو بكافر أيضاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، ولا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالداً فيها، إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير، ولكنه تخفف النار عليه.

٥ - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فقد قرروا ذلك على المؤمنين أجمعين نشراً لدعوة الإسلام وهداية للضالين، ودفعاً لهجوم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم.

لقد كان الاعتزال ذا أثر كبير في تفكير الزمخشري وآرائه، فهو قد ألزم نفسه من جهة السير على منهج المعتزلة العقدي، وهو من جهة أخرى قد دوّن أصول الاعتزال في مؤلفاته وخاصة تفسيره، وهو من جهة ثالثة قد جعل هدفه الدفاع عن نزعة الاعتزال، وتأييد آراء المعتزلة في أكثر من مؤلّف من مؤلّفاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ شيوخه وأساتذته[1]:

لقد كان القسط الأوفر من مواهب الزمخشري وملكاته وشهرته العلمية وتفوقه في علوم الدين راجعاً إلى شيوخه، ورجال العلم والأدب الذين تخرج الزمخشري على أيديهم، وهو لم يقف عن طلب العلم يوماً من الأيام، و لم يقتصر على التلقي على شيوخ بلدة معينة، بل كان يجوب البلاد ويستفيد من علمائها بأدب وتواضع، فلم يرغضاضة في أن يتتلمذ وهو في شيخوخته وأستاذيته على من يراه أهلاً ومحلاً للعلم والفضل. ومن أبرز شيوخه:

ـ محمود بن جرير الضبي الأصبهاني (أبو مضر)[2]، والشيخ أبو علي الضرير[3]، وكان علماً ومتبحراً في فنون الأدب، والنحو، وعلوم الإعراب، وأخذ الزمخشري منه علوم الأدب في خوارزم، والشيخ السديد الخياطي[4]، أخذ عنه الفقه.

والمحسن بن محمد بن كرّامة الجشمي البيهقي[5]. وركن الدين محمد الأصولي[6]، وقد أخذ عنه علم الأصول، وأخذ هو عن الزمخشري التفسير.

وكذلك أخذ الحديث عن شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي[7]، وأبي سعد الشقّاني الينسابوري[8]، وأبي الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله البطر، المتوفى سنة ٤٩٤هـ[9].

وممّن لقيهم من العلماء واستفاد منهم أيضاً: الدامَغاني[10]،وابن الشجري[11]، وأبو بكر

---

(١) ـ انظر: معجم الأدباء ١٢٧/١٩، إنباه الرواة ٢٦٨/٣، إشارة التعيين ٣٤٥، العقد الثمين١٣٨/٧، بغية الوعاة ٢٧٩/٢، طبقات المفسرين ١٠٥، مفتاح السعادة ٨٧/٢ـ٨٩، الزمخشري للحوفي ٤٩، الزمخشري لغوياً ومفسراً ٩٦-١٠٢، ١٥٧-١٦٩.

(٢) ـ أول من أدخل مذهب المعتزلة إلى خوارزم ونشره فيها، كان عالم عصره باللغة والنحو والطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل. أقام مدة في خوارزم، وتخرج عليه جماعة، منهم الإمام الزمخشري ومات سنة ٥٠٨هـ. انظر: معجم الأدباء ١٢٣/١٩-١٢٤، بغية الوعاة ٢٧٦/٢.

(٣) ـ لم أقف على ترجمته فيما عدت إليه من مصادر.

(٤) ـ لم أقف على ترجمته فيما عدت إليه من مصادر.

(٥) ـ أبو سعد، ويقال له: الحاكم الجشمي، مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي ثم معتزلي فزيدي، وهو شيخ الزمخشري، قرأ بنيسابور وغيرها، واشتهر بصنعاء اليمن، وتوفي شهيداً مقتولاً بمكة سنة ٤٩٤هـ. انظر: الأعلام ٢٨٩/٥.

(٦) ـ لم أقف على ترجمته فيما عدت إليه من مصادر.

(٧) ـ لم أقف على ترجمته فيما عدت إليه من مصادر

(٨) ـ لم أجد فيمن يعرف بهذه النسبة من يكنى أبا سعد أو أبا سعيد، بل وجدت من المشهورين بالحديث أبا الفضل العباس بن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن الشقاني الحسوني من أهل نيسابور، كان فقيهاً محدثاً، أنفق عمره في الكتابة، وسماع الحديث، وصحبه الأكابر، ولزوم المجالس، والطواف على المشايخ، وإفادة الصبيان والشباب، وكان أبوه من أفذاذ أئمة الأصول، توفي سنة ٥٠٦هـ.انظر: الأنساب ٣٥٩/٧-٣٦٠

(٩) ـ لم أقف على ترجمته فيما عدت إليه من مصادر.

(١٠) ـ الدّامغاني بفتح الميم بلدة من بلاد قومس، من علمائها في الحديث، قاضي القضاة، أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني ولي قضاء بغداد مدة، وكان إليه القضاء والرياسة والتقدم، وكان فقيهاً فاضلاً، توفي ببغداد سنة ٤٧٨هـ. انظر: الأنساب ٢٥٩/٥.

(١١) ـ هبة الله بن علي بن محمد الحسني أبو السعادات الشريف، المعروف بابن الشجري، من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب، توفي سنة ٥٤٢هـ .انظر: معجم الأدباء ٢٨٢/١٩-٢٨٣، ونزهة الألباء ٤٠٤-٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، المطبعة النموذجية، القاهرة.
- المذكر والمؤنث، لأبي بكر الأنباري، تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- المذكر والمؤنث، ابن جني، تحقيق وتقديم د. طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي، جدة، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله اليمني المكي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي الحلبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.
- المراسيل، لأبي داود، راجعه وفهرس أحاديثه د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، علق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مصر، ط١.
- المسائل الحلبيات، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم دمشق، دار المنارة بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- المسائل العضديات، لأبي علي الفارسي، حققه شيخ الراشد، منشورات وزارة الثقافة في سوريا، دمشق (١٩٨٦م).
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
- المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- مسند أبي يعلى الموصلي، الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، حققه حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.
- المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، جامعة الرياض، شركة الطباعة العربية السعودية، ط١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المطول على التلخيص، طبع تركيا سنة ٣٣٠هـ.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت (١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م).
- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٢ (١٩٨٠م)
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، د. عبد الله درويش، دار الكتب المصرية.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- المعجم الكامل في اللهجات الفصحى، جمع وترتيب د.داود سلوم، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)
- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢.
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، حقق كلماته د. ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، حققه بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- المعمَّرين، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، حققه وعلق عليه د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، جامعة البعث، حمص.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الشربيني، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل عبد الموجود، قدم له وقرظه الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وشرحه أ. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له د. علي توفيق الحمد، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم الزمخشري، دار الجيل، بيروت،ط٢.
- المفضليات، تحقيق وشرح أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٣ (١٩٦٤م).
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للإمام العيني، بهامش خزانة الأدب للبغدادي، بيروت.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المقرب، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد.
- المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي عمرو عثمان الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- المِلَل والنِّحَل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب، ط١ (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تأليف ابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط١ (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، تأليف مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، مصر.
- الموشح، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر (١٩٦٥م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، دراسة وتحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م)
- نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق، زكريا شحاته محمد الفقي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).
- النحو وكتب التفسير، د. إبراهيم عبد الله رفيدة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط٢ (١٣٩٤هـ - ١٩٨٤م).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النظم القرآني في كشاف الزمخشري، الدكتور درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (١٩٦٩م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit